الهاء التي دخلت للذكر يراد بها المدح والمبالغة في نوعه الذي وصف به فيقال انه لمنكرة من
المناكير ،

وانه لداوية وعلامة ، فهذا مذهب الداهية والمدح ، وأما الذم فقولهم ،،
انه لجخابة هلباجة ، وفقاقة ، فيما لا احصيه وكأنه يذهب به الى البهيمة فهذا به تأنيثها لانه
وقد وضعا لمؤنثين فاجرى فعل المذكر عليها ،
ولو أن تغير تأنيث لكان صوابا ،

ثم يأتي نوع آخر من الجمع مثل الشاء والبقر والحصى فهذا اسم موضوع فاذا أرادت
العرب افراد واحدة ، قالوا شاة للذكر والانثى لم يرد بالهاء ههنا التأنيث
المحض انما أرادوا الواو فكرهوا أن يقولوا عندي هراء وهم يريدون الواحد من الجراد
لانهم لو فعلوا ذلك لم يعرف واحد من جميع فجعلت الهاء دليلا على الواحد فهذا قياس
مطرد وربما حصلوا عند موضع الحاجة فجعلوا الانثى مفرده بالهاء وجعلوا الذكر مفردا
بطرح الهاء ، فيكون الذكر على لفظ الجمع من ذلك رأيت نعاما اقرع ، ورأيت
حماما ذكرا ، ويقولون رأيت جرادا على جرادة ، وحماما على حمامة ، يريدون
ذكرا على انثى قال انشدني بعض العرب قوله ،،

كان فوه مثنه مرى دبا ،، فردسري فوه نقاغب صبا ،

اراد الواحد من الدبا قال وسمعت الكسائي يقول سمعت كل هذا النوع من العرب بطرح
الهاء من ذكره الا قولهم ، رأيت حية على حية ، فان الهاء لم تطرح من ذكره ذلك
انه لم يقل حية وهي كثير كما قيل ،،

لغرة وبقرة ، فصارت الحية اسما موضوعا كما قيل حبة لجمع الحبوب ، وحنطة فلم يفرد لها
ذكر وان كانت جمعا فأجروه على الواحد الذي فيه جمع للتأنيث والتذكير الا ترى ان ابن عرس وسام
ابرص وابن قترة قد يؤدي عن الذكر والانثى وهو ذكر على حاله قال الشاعر قوله ،،

فما تزدري من حية حبيه ،، سكان اذا ماعد ليس نادرا ،

فهذا وكل ما كان من الاسماء مبهما مثل قولهم ما عندي احد وديار وصافر وكراب
وعريب ، ومثل وغير وافضلهم وبعضهم ومن اذا كانت تؤدي عن بعض الشيء كقولك
منهم يقوم ومنهم يقعد فان هذا كله يجري مؤنثه على التذكير فيقال ، غيرها قام ،
ومثلها قام ، وبعضهن ذهب ،،

لان هذه الحروف ليس بمعلومة فاجرين مجرى من وكل المبهم التي لا يقصد قصدها فمن انه
فعل شيء من عنده فهو بمنزلة من قال ، منهن من ذهب ، ومنهن من ذهبت ، فيوطء الكلام
الى معناه ويترك لفظه قال الفراء ورأيت العرب قد افردت منه شيئا لا يكادون يذكرون
فعله ولفظه لفظ المذكر من ذلك قولهم اتيتك وهي فلانة شاهد ، وانما يريد فلانة
واتيتك وهي زيد شاهد ، وطم اسمع وهي فلانة اذا كانت حية وذلك انهم قصدوا
بالخبر عن فلانة اذا كانت حية وقد قال فيه الشعراء فأكثروا قال الشاعر ،،

يا فز ان اباك حي خويلد ،، قد كنت خائفة على الاحماق

يريد ان اباك خويلدا فلما قال حي اضاف فقال حي خويلد ويريد خويلدا في حياته
وقال الآخر ،،

الا قبح الاله بني زياد ،، وحي ابيهم قبح الحمار ،

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)